

وقال عنه صنوه وصديقه حافظ يشيد بنزعته في التجديد:

«هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وصدعوا قيود التقييد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي، وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث، وطوّفوا بسرد وقائع التاريخ، ففتح بذلك فتحة جديدةً شتّى فيه الغارة على أهل الحفاظ والتمسك».

وكان من أركان المسرح العربي بما كتب لهذا المسرح وعرب، فقد ترجم ليالى البفريد دى موسيه، ورواية هرنانى لفكتور هيجو، كما ترجم لكورنيل مسرحيات (السيد) وسينا وبوليكت، وترجم روايات شكسبير: هاملت، ومكبث، وعطيل، وتاجر البندقية.

النهضة العربية

قال سنة ١٩٠٨ يحيى نهضة الشعوب العربية:

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| داع إلى العهد الجديد دعاك | فاستأنفى في الخافقين عُلاك |
| يا أمة العرب التي هي أمنا | أى الفخار نَمَيْتِه ونماك؟ |
| يمضى الزمان وتنقضى أحداثه | وهواك منّا في القلوب هواك |
| إنّا نقاضى الدهر في أحسابنا | بالرأى لا بالصّارم الفتاك |
| وملاك شيمتنا الوفا فإنه | لسعادة الأقسام خير مِلاك |
| آمالنا آلامنا أرواحنا | أشباحنا يوم الفداء فداك |
| بالعلم ننشر ما انطوى من مجدنا | وبه نزكى في السورى ذكراك |

مطران ومصطفى كامل

كان بينه وبين الزعيم مصطفى كامل صداقة وود داما طول العمر، كان مؤيدا لدعوته نصيرًا لرسالته، دافع عنها في حياة مصطفى، وظل وفيها لها بعد وفاته، ويبدو مبلغ إعجاب به وتقديره لعبقريته في قصيدته التي أنشدها سنة ١٩٠٨ في حفلة الأربعين لوفاته، وقد نشرها في ديوانه وصدورها في طبعته الأولى بهذه الكلمة التي تعد في ذاتها قصيدة من النثر المنظوم، قال: «مصاب الشرق في رجله المفرد، وبطله الأوحده، مصطفى باشا كامل، أيتها الروح العزيزة! إن في هذا الديوان الذى اختتمه برثائك، نفحات من نفحاتك، ودعوات من دعائك، فى هيكلك المدفون بالتكريم تحية الأخ المخلص للأخ الحميم، ووداع المجاهد المتطوع للقائد العظيم».

وجعل عنوان القصيدة (حق الوطن وحق الإخاء) قال: